كلمة رئيس الجامعة الأنطونيَّة الأب ميشال جلخ
في حفل تكريم أدونيس
١٥ حزيران ٢٠١٩

فخامة رئيس الجمهوريَّة العماد ميشال عون، ممثَّلًا بالأُستاذ رفيق شلالا،
ممثِّلي معالي الوزراء وسعادة النوّاب والسفراء،
الفعاليّات الأكاديميَّة والثقافيَّة والسياسيّة والأمنيَّة والإعلاميّة والاجتماعيَّة،
حضرة المحتفى به اسمًا علمًا في الأنطونيَّة،
أيها الحضور الكريم،

إنَّها "إسم علَم" بنسختها الثالثة عشَرة، وهي تزداد مع العمر نُضجًا وألَقًا، مُراكِمةً احتفالاتِها ومجلَّداتِها سِجلًّا ذهبيًّا عُنوانُه الوفاءُ للمُبدِعين. فبعدما كرَّمت كبارًا في الفلسفةِ والفنونِ والعلومِ الإنسانيَّة على اختلافِها، بعضُهم شرَّفنا بحضوره اليوم، ها هي تحتفي بكبيرٍ هو جَمعٌ بصيغةِ المفرَد، يجمع في شخصه ونِتاجه رؤيويَّةَ الشعر، وعُمقَ الفلسفة، وإبداعَ الفنِّ التشكيليِّ، وإشكاليّات الثقافة جميعَها .

إنَّه لَشرفٌ كبيرٌ وسرورٌ عظيمٌ لنا أن يحلَّ أدونيس مكرَّمًا على منبر الجامعة وفي منشوراتها، وأن تلتئمَ حوله وحول الأنطونيَّة هذه النُخبةُ من المثقَّفين والأصدقاء.

أدونيس هو الإسم العلَم لمشروعٍ فكريٍّ طموحٍ وجَذريٍّ لا فِكاك ممكنًا فيه بين التنظيرِ للحداثة وممارستِها نَصِّيًّا، بين التفكيرِ في الشعر والتفكير بالشعر. هو اسمُ ورشةٍ عنيفةٍ ورفيقة، في الوقت عينه، في حَرْثِ تُربةِ التراث، وتحدِّي ما ثبُتَ في أذهانِنا من تصوُّراتٍ عنه، وتصوُّراتٍ به. ورشةُ عملٍ في اللغة وباللغة على اللغة، وهِجرةٌ من اللغة-الحِجاب، اللغةِ التي تنتهي بأن تطمِسَ ما تحيلُ إليه، عِوَض أن تكشِفَ عنه، إلى لغةٍ مشرَّعَةٍ على المجهول، قابلةٍ للمُمكنات جميعِها، قادرةٍ، باتِّساعِها للتمرُّد والتثوير، أن تبقى بيتًا ومُنطَلَقًا للناطقين بها.

أراد لنا أدونيس أن نرمي نَرْدَ التاريخ على لغةٍ حيَّةٍ لا لغةٍ-وَثَن. لكنَّ اللغةَ لا تكونُ حيَّةً بحُكم الاستعمالِ والتداولِ وحسب، بل بِحُكم الانتهاك والتغريب والتجديد والتجريب أيضًا، أي بحُكم ارتضائها أن تكون أداةً لحرِّيَّتنا. لا يَضيرُها في ذلك أن يكتنفَها الغموضُ أحيانًا، وأن يجدَ قارئُها نفسَه أمام أمواجٍ متلاحِقةٍ من التجريد والتشخيص، وحركةٍ دائمةٍ بين تجلِّي المعنى واحتجابِه. كلماتٌ يريدها أدونيس قناديلَ تلِدُ الظِلالَ بِمِثلِ ما تلِد الضوءَ، وتترُكُ للوجودِ كاملَ سرِّه، وللقارئِ كاملَ حرِّيَّته... وكاملَ مسؤوليَّتِه.

لقد خاضَ مكرَّمُنا معاركَ ثقافيَّةً ضارية على جَبَهات الشعر واللغة والتراث والسياسة والدين جَعَلَتْ منه اسمًا مَرجعًا، وحَصَدَ من الجوائز والتكريمات والشهادات الفخريَّة ما يضيقُ المجالُ لذكره. وها هو الحاملُ في اسمِه ونتاجِه ألَقَ الأسطورة، المثيرُ في الأوساط الثقافيَّةِ والرأيِ العامِّ ما تثيرُه الأساطيرُ من رَهبةٍ وإعجابٍ وغَيرةٍ وحَيرةٍ وتشكيك، يُطِلُّ علينا عن صهوة سنواتِه الرابية على التسعين، باحثًا في الفنِّ التشكيليِّ عن أُفُقٍ جديدٍ يُحرِّره من ثِقل أُستاذيَّته. يقول:

"أجِد مُتعةً خاصَّة في أنَّ الرقائمَ التي أُنجِزُها تُشعرُني بأنَّني أتطوَّرُ وأتقدَّمُ، وتتَّسعُ رؤيتي أكثرَ من كتابة القصيدة اليومَ بشكل عامّ، لأنَّ القصيدةَ تضعُني دائمًا في أفقي الشعريِّ الذي أعرِفُه، فكأنَّني أُعيد سَماع السِمفونيَّة التاسعة لبيتهوفن (...). لكنْ بالعملِ الرقميِّ والحِبرِ الصينيِّ الذي أقومُ به الآن، أشعُرُ كأنَّني أخطو خُطوةً إلى الأمام؛ كأنَّني أتقدَّم؛ كأنَّني أحقِّقُ بعضَ الأشياءِ التي لم أمارسْها سابقًا."

هكذا يؤوب الشاعرُ النجمُ إلى طُفولتِه، ويبحثُ عن جديدٍ يتعلَّم بهِ نفسَه والأشياء. هكذا يَهجُر عرشَ مرجعيَّتِه، لئلّا يغدو حبيسَ اسمِه، هو الذي دعا إلى الانعتاقِ من القيودِ جميعِها. حسبُه أنَّه إنَّما يجسِّد ما دعا إليه طيلةَ مسيرتِهِ الفريدةِ، وما خطَّه بيَدِهِ في كتابِ الجامعةِ الأنطونيَّةِ الذهبيِّ:

"عِشْ أَلَقًا وابتكِرْ
قصيدةً وامضِ
زِد سَعَةَ الأرض."

فأهلاً بأدونيس، إسمًا علمًا يَزيد سَعة الأنطونيَّة ويكرِّسُ انفتاحَها على أرحب الآفاق، وأهلًا بكُم أصدقاءَ أعزّاء تضيق بكم الأماكنُ فتوسِّعونها.